قهوة عربية بمذاقٍ غير عربي

حلمي صابر ربيع الآخر 1444هـ



هاتفني البردوني

أجبته: نعم يا شعوري وشعري، تفضل

ما رأيك بشرب قهوة عربية على سفح جبل في إب ؟ أو في أية مكان تشتهي ؟

مررتُ عنده ، وأخذته معي

جلسنا ومزارع البن تحته وتحتي

هواء صنعاء البارد لفحَ وجهي

ورهام المطرِ ، هطله وهطلني

قال لي البردوني : هاك فنجاني، اسكبْ لي يا حلمي

قلتُ له : أُحذركَ ، هي قهوة عربية بمذاق إفرنجي

سألني معاتبا : أعدْ ما قلتَ ، ماذا قلتَ يا حلمي ؟

ترددتُ ، تلعثمتُ ، لحظة يا شاعر الوطن لا تهجنِ

عفوا يا بردوني ، أُنْسِيتَ بأنني في صنعاء بلدي !

عاتبني : كيف نسيت صنعاء وهي تحضنك وتحضنني !

على جبالها وفي هوائها ، ابتسمَ وسألني : أتعرفُ ما قالتْ صنعاءُ لي ؟

قلتُ : أخبرني

قالت صنعاء : صاحبك حلمي أعقني

أرجوك يا بردوني لا تحرمني

انظرْ في عينيَ

عيناي عدساتٌ ملونةٍ ، فما عدتُ ادري

أألبنُ إفرنجي أم يمني !

انظر يا بردوني إلى جبال اليمنِ ، دموعها تجري

ومن دمعها إلى دمعي تسقي

قال لي البردوني : الانَ عذرتُك

أنتَ مريضٌ بوطنك ، كمرضي

هذا مرض لا شفاءَ منه ؛ ترابهُ جدار عروقنا ، دمنا فيه يجري

عاتبني : أردتُ بقهوتك أن أنسى ، لكنكَ ذكرتني

كيف ننسى صنعاء

كيف ننسى كل بلد عربي

كيف ننسى من يبيع فينا ويشتري

قلتُ له : أرجوك يا بردوني

ما عادَ قلبي يتحمل ؛ لو تكلمتُ ، لن تتحملني

اختلطتْ دموعُ الجبال بدمعي

سادَ بيننا صمتٌ

وكان صمتنا أشد من الكلمِ

سألني : أهذا البللُ الذي يرشفني من المطر ؟ هل توقف المطر ؟

لم أخبره : أنهُ كان دمعي

كان المطر يهطلُ ، وكان صدر البردوني صوتا يئنُ ؛ فأنَّني

تركته ، كان يكتب في قلبه قصيدة عنوانها :

قهوة عربية بمذاقٍ إفرنجي

وضعتُ يدي على فيه وقلتُ له :

أرجوكَ لا تخنوني ، عبثَ المتقهوهون ببلدي

نادلة المقهى ، فتاة عربية

وجهها أصباغ بصبغٍ فرنسي

لم يكن في يديها حناء

ولم يكن في عينيها كحل

كان وجهها بلا غطاء ، الغطاءُ الذي تعرفه المسلمةُ واليمنية واليمني

ابتسم البردوني هازئا : أنت أحادي متخلف رجعي

وقال متعجبا: لا أصدقُ أنَّ عربيةً تعمل نادلةً

تسكبُ حياءها بلا حياءٍ

أظنك تخرف وتهذي يا حلمي

صمتُّ

وأخذته إلى مطعم عربي يمني

وطلبنا طعامنا

كانت ملعقتي ، يدي

ونظرت إلى الجدار خلف المحاسب

كانت صورةً لطفلةٍ عربيةٍ مدت كفيها

كان في يديها الحناء وفي عينيها كحل،

ككحل والدتي وجدتي.

عند الخروجِ ،

أهداني المحاسبُ فنجانا ، ورفع أصبعه وحركه شمالا ويمينا. قالت أصابعه : لا... لا ... لا.

ألتفت برأسه يمينا وشمالا ، نظرَ خلفَ زجاج المطعم ، ظننته كان خائفا .

وكتب على ورقةٍ : لا

كان على الفنجان رمزا لنجمتينِ ، كما رأيتم في الرسمةِ .

خرجنا ، أوصلتُ البردوني بيته

وفي طريقي راجعا إلى بيتي

لفتَ انتباهي ، أمينَ المسجدِ يحملُ كتبا

وقفتُ ، ناديتُ : عم أمين

ما الذي يجري ؟ لماذا الكتب في الشارعِ ؟ لا أظنك لها سترمي !

رفع رأسه ، أهلا حلمي

أجابني: جاءنا الأمرُ في كل مساجد سيدني

بإخراج جميع الكتب كلها حتى المفسوحَ من اللجنةِ

لماذا ؟ سألته

يقولون ولا نثق بي

عينوا رئيسا جديدا للجنة

قالوا: جامي حاقد غالٍ في الطاعة ، كان في العسكرية عميدا

وتقاعدَ ، فأمنّوهُ المساجدِ !

شكرا ، فهمتُ ما الذي يجري

واصلت طريقي

فتحتُ المذياع

كان صوت المؤذنِ جميلا ، مؤثرا ؛ أخذتني معه المعاني

الله أكبر

قال لي خاطري: نعم صحيح الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله

قال لي خاطري: نعم عن كلِ فرعون تألّهَ وهو نطفة فعلقة فمضغة ثم انثنى ظهره أومات قبل أن ينثني

أشهد أن محمدا رسول الله

وهل غيره يتبع في زمن الوسطيةِ المعتدلةِ الجامية حتى ولو كانت دروسا وخطبة في القدسِ والحرمين

حيَّ على الصلاة

نعم هذا هو الحل المؤقت والدائمِ

حيَّ على الفلاح

وهل في غيره فلاحي

الله أكبر

الله أكبر

لا إله إلا الله

إنها دعوة تامة ، كان ترديدي بعد الأذان. عجبا ممن انتقصَ الشريعةَ من كل منتقصي.

رنَّ هاتفي عند دخولي بيتي ، كان البردوني ، سألني :

هل إلى معرض الكتاب ستصحبني ؟

اعتذرتُ . سألني : لِمَ ؟

استفرد القندس بالوادي

رقْصٌ مع ابن عربي

والإنجيل في بيروت لحافه جنسي.

وفي انفراده المتقندسي، سرقةٌ ولوطية وعشق وفي لندن بها يزني ، حتى لو ركله السلطان لا الحمار بالركل

ولم تسلمْ منه طالبة الثانوي . لا حاجة لأن أسرد الباقي ، فهذا يكفي !.

سألني البردوني : ماذا قلتَ ؟

قلتُ: فتحوا عند معرض الكتّاب ، مكتبا للهوِ ، ليغنيَّ المغني

والعميد أخرج الكتّاب من المسجدِ :

ابن كثير والقرطبي والطبري

وصحيح مسلم والبخاري

وتعليق السعيد وعبد المقصود والحويني

ولم يكن في المسجد نسخة لشرح الكملي

سألني : وكتب الألباني والباز والعثيمين النجدي ؟

حتى موسوعة حازم في السياسة والحكمِ ، حزموها ليحرقوها بقاع النهر الجافِ في الطينِ والرملِ.

قلتُ: أخرجوا العلمَ من المسجدِ

وأدخلوا الجنس والإلحاد وكتبَ الطاعةِ

عجبا أن يلتقي الليبرالي بالمتجيمي !

كلهم عبيد الطاعة .

في الفهمِ والتنظيرِ ، الإيمان : قولٌ وعملٌ كالذي يعتقده الصحابي والتابعي السلفي

وفي العملِ ، جامي ماتريديٌّ أشعريٌّ فصلَ الإيمانَ عن العملِ

لا تعجبنَّ ! فكلهم عنده خلل في التفكير والعقلِ

نعم يتفاوتون ، يختلفون ؛ فهم درجاتٌ

لكنهم متفقون !

الليبرالي طاغيةٌ ، متسلطٌ ، وإن زعم الحريةَ بالحريةِ

والجاميُ طاغيةٌ بحزبه ، عبثَ بالدين للطاعةِ

والعلماني خلا بعضُ عقلهِ من عقلِ

قلتُ لك قبلُ يا بردوني : لا تخنوني

قهوةٌ عربية خولانية يمنية ، مذاقها إفرنجي

قال لي: لا أشربها ، ولا منها ، يسكبُ لي

قلتُ له: بجوارك ادفني ؛

فما عادَ ليَ على الأرضِ وطن يا وطني

انتهى